تربية وتعليم أم تطويع وتجهيل؟

١٠ الاف طالب في القدس بحاجة الى حل - مناهج تتضمن الكثير من "ارض الميعاد" "وتحرير فلسطين من العرب" اساتذة يأكلون داخل الحصص ويجيدون "فن الكراتيه" اين لجان اولياء الامور؟

في هذه الايام، تنتهي مأساة التعليم في القدس العربية للسنة العاشرة على التوالي. وفي الوقت الذي تحتفل فيه البلدان المتقدمة بالقضاء على جرثومة الامية، نحتفل نحن في نهاية كل عام دراسي بزيادة نسبتها. وحتى نكون صادقين مع الواقع، نقترح كما تملي علينا ظروفنا استبدال اصطلاح "التربية والتعليم" عندنا بـ "التطويع والتجهيل".

بداية المأساة

نحن لا ندافع عن مناهج التدريس الاردنية، على الرغم من انها يمكن ان تكون مع بعض التعديلات وفي ظل الظروف الحالية، هي البديل الواقعي لمناهج التدريس الاسرائيلية، في القدس العربية. لقد بدأت مأساة التعليم في القدس ومنذ ان اتخذت الكنيست الاسرائيلية قرارا من طرف واحد بضمها. ومنذ ذلك القرار تم فرض المناهج الاسرائيلية على المدارس العربية الحكومية في المدينة المقدسة. ولقد كانت هذه القضية، هي الشغل الشاغل للمواطنين طيلة السبع سنوات الاولى التي اعقبت الاحتلال سنة ١٩٦٧، ونتيجة لقيام المشكلة التعليمية، والاحتجاجات الشعبية التي جرت بهذا الخصوص، اضطرت السلطات، ان تلجأ الى اسلوب الترقيع، وتبنت بتدريس منهاج واحد - يجمع بين المنهاجين - في المرحلتين الاعدادية والثانوية ولكنها اصرت على بقاء المنهاج الاسرائيلي وحده في المرحلة الابتدائية. والهدف من وراء ذلك واضح طبعا.

بعض الارقام

يبلغ عدد المدارس التابعة لوزارة المعارف الاسرائيلية في القدس حوالي ٣٠ مدرسة، ثلاث منها فقط ثانويتان، واربع مدارس اعدادية واربع عشرة ابتدائية، ولم يزدد هذا العدد منذ سنوات على الرغم من ازدياد عدد الطلاب الذي يبلغ في المدرستين الثانويتين والمدارس الاعدادية حوالي ستة الاف طالب وطالبة بينما يبلغ العدد في المدارس الابتدائية حوالي عشرة الاف طالب وطالبة.

تسرب الطلاب

ليس هنالك اي دراسات حول حاجات التعليم، كما انه ليس هنالك اي معلومات، واضحة عن ميزانية التعليم الرسمية" في القدس

وعلى ما يبدو ليس هناك اي نية لنشر هذه المعلومات. ومن الطبيعي في هذه الحال، الا يكون هنالك اهتمام لمعالجة المشاكل الناتجة عن تردي ظروف التعليم، وهذه المشاكل استفحالاتي الخطير، هي تسرب طلاب المدارس الابتدائية من مدارسهم.

لاحصائيات عن حجم هذه المشكلة ونسبتها الا ان توقعات المهتمين بهذه القضية تشير الى ان نسبة تسرب طلاب المدارس الابتدائية من مدارسها لا تقل عن ٢٠ بالمئة من العدد الاجمالي للطلاب. اما الاسباب الموضوعية والمباشرة، لهذه الظاهرة في كثيرة ومتعددة واذا علمنا ان هذه الظاهرة، قد تم استئصالها حتى الان في الدول الاشتراكية فقط نستطيع ان نحدد اهمية العوامل، السياسية والنظام الاجتماعي، ودورهما في حل هذه المشكلة.

لقد ابتدأت "مأساة التعليم" في القدس سنة ١٩٦٧، وهذه هي وجوه المأساة.

المناهج

ان فرض المناهج الاسرائيلية، على الطلاب العرب، في المدارس الابتدائية في القدس، يعني انهم مجبرون على دراسة المناهج الاسرائيلية، ومجبرون على ان يدرسوا التاريخ العبري بينما لا تتضمن المناهج سوى ١٢ بالمئة فقط من تاريخهم وثقافتهم، بينما تتضمن الكثير عن "ارض الميعاد" "وتحرير فلسطين من العرب" و "مدنيات اسرائيل" وبالاضافة الى ذلك فان هذه المناهج طويلة وجافة، تصعب على طلاب المراحل العليا فكيف بالطالب الصغير الذي عليه ان يدرس كتابا حجمه ٦٠٠ صفحة. ان كل طالب في المدارس الابتدائية بحاجة الى مراسل او عتال خصوصي يساعده على حمل الكتب المدرسية. كما ان طبيعة المادة الموجودة في المنهج لا تمت لواقعنا السياسي والاجتماعي والثقافي بصلة، ويصبح لزاما على طلابنا ان يعرفوا كل شيء عن الولايات المتحدة واميركا الجنوبية واوروبا واستراليا ولا يذكرون شيئا عن الارض التي نعيش عليها. وبخصوص المنهاج العلمي لا تتواجد المختبرات ولا الوسائل الايضاحية لايصال التجربة العلمية اليهم، ان هذا المنهج يميت الرغبة لدى الطلاب بمتابعة التعليم.

مهزلة البيانات المدرسية

غالبية المدارس التي يدرس فيها الطلاب هي من الطراز القديم، وهنالك عدد منها موزع على عدد من البيوت السكنية، التي حولت بقدرة قادر الى مدارس، ولذلك من الطبيعي ان يكون الصف الاول في بداية الشارع والصف الثاني في الشارع الاخر وهلم جرا، وعلى ان يتحولوا الى "مراسلين" بين الصفوف، كما

تحقيق
إبراهيم ابوعربية
حنا عميرة

ان الحقائق تقول ان عددا من المدارس في القدس العربية ذات سطوح ممزقة، وان الغرف في الشتاء تتحول الى برك ماء، هذا بالاضافة الى ضيق الصفوف واكتظاظ الطلاب وانعدام وجود ساحات كافية للعب وانعدام وجود المكتبات والندوات والمسرحيات والالقاء الشعري ومختلف النشاطات التربوية الاخرى. هذا قليل من كثير..... وتستمر المشاورات والمباحثات والاجتماعات وتكتب العرائض وتمر سنة وسنتان وثلاث سنوات ولا سميع ولا مجيب.

اصحاب دور النشر

ان الكتب لا تعتبر تجارة فقط، وانما وسيله للاثراء الفاحش، بالنسبة لعدد من اصحاب المطابع ودور النشر، ووصلت اسعار الكتب المدرسية ارقاما خيالية. وهذا يسبب مشكلة وخاصة لابناء العائلات ذات الدخل المحدود وفي ظل "الاقتصاد الحر" وتحكم "قانون العرض وطلب" من الطبيعي ان ينقص عدد الكتب الامر الذي يجعل المدارس تظل بلا كتب شهورا قد تصل الى سنة، واكثر من ذلك، فربما يصل عدد الكتب المقرره لصف واحد الى خمسة لخمسة مؤلفين..... وهذا امر لا يعرفه بلد في الارض، بقي ان نقدم اقتراحا هنا هو ان تعين اصحاب دور النشر مسؤولين عن التعليم.

الطلاب يشهدون

يبلغ عدد اساتذة المدارس الابتدائية "التابعة لوزارة المعارف الاسرائيلية" حوالي ٣٥٠ معلم ومعلمة غالبيتهم من المعلمين والمعلمات الجدد. وعدد كبير من هؤلاء المدرسين، الموجودين حاليا في المدارس، غير مؤهلين تعليميا وتربويا، واسباب ذلك معروفة وخاصة ان المؤهل العلمي للاستاذ يجب ان يسبقه مؤهلات اخرى لا تمت الى التعليم بصلة. وهنالك شهادات متعددة لطلاب خرجوا من المدرسة تؤكد هذه الحقائق.

أ) هنالك اساتذة يلعبون الشدة واحيانا طاولة الزهر داخل الصف وامام نظر الطلاب.

ب) اذا سمع الاستاذ بياعا او بائعة متجولة يرسل اليهم بعض الطلاب وتبدأ المساومات ويتحول الصف الى سوق تجاري.

ج) في احيان كثيرة وعندما يقوم الاستاذ بتنظيم وليمة، يرسل الطلاب من حصصهم لشراء الحاجيات.

د) بعض الاساتذة يتناول طعامه اثناء الحصص.

هـ) غالبية الاساتذة يلجأون الى اسلوب الضرب والعنف والسخرية والشتائم في التعامل مع الطلاب. احد الطلاب قال "انني كنت مشاغبا تحديا للاساتذة، لانهم كلما ضربوني، كلما ازددت في المشاغبة وتحديهم، وعندما زادوا من ضربهم وشتائمهم تركت فرض طاهري، وكان الاستاذ يستهزيء منه امام الطلاب مما دفعه الى الخروج من المدرسة. وطالبه ثالث قال "السبب الذي دفعني للخروج، هو ان احد الاساتذة كان يضربني كراتية".

اقتراح

طبعا لن يكون الانتظار والسكون، هو الحل لهذه القضية، ونحن لا ندعي بأن هنالك حلول جاهزة، بل هنالك بعض الاقتراحات التي يمكن ان تخفف من تفاقم المشكلة.

ان استمرار المشاكل السابقة يعبر عن وجود افلاس من النواحي المادية والتخطيطية والتنظيمية.

• ولكن يبقى هنالك حيزا للعمل.

اننا نقول ان للمواطنين حقهم، في ان تكون لهم شخصيتهم وثقافتهم وارتباطهم بتاريخهم هذا مع العلم بأن المسؤولين الاسرائيليين لا ينفكون يتشدقون في دعاياتهم عن هذه الحقوق. ولكنهم من الناحية الاخرى يصرون على الهيمنة على التلعيم في المدارس الحكومية داخل القدس ونحن نتساءل لماذا لا يشرف على التعليم في هذه المدينة مؤسسة علمية عربية، مثل مجلس التعليم العالي مثلا، ولماذا لا تطبق في مدارس القدس العربية المناهج العربية مع ان هذه المناهج تدرس، في جميع المناطق المحتلة، بل وفي القدس نفسها في المدارس الخاصة.

الحد الادنى الضروري لحل هذه المشكلة يكون باعادة المناهج العربية مع ايجاد مؤسسة علمية عربية، مثل مجلس التعليم العالي للاشراف على "جميع المدارس" ويتطلب الامر ايضا تشكيل لجان اولياء امور الطلاب، ليؤدوا دورهم في حل مشاكل ابنائهم بصورة جماعية.
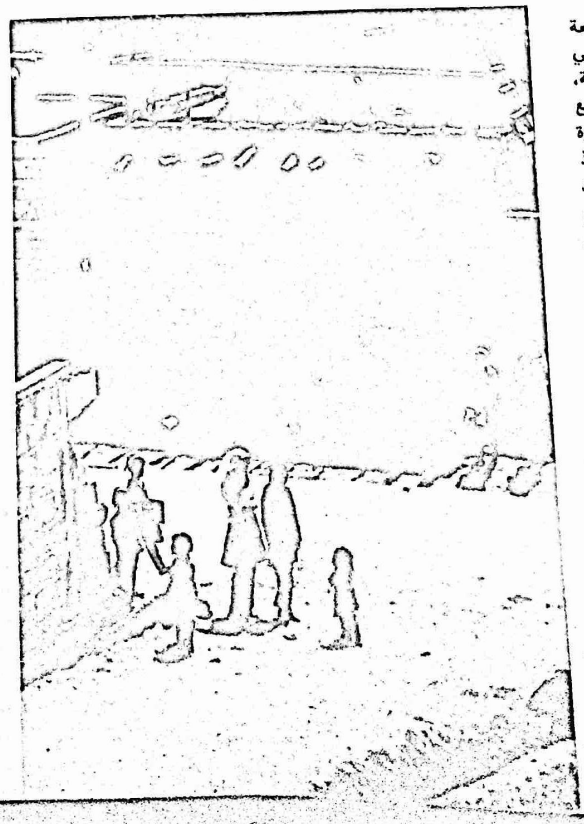
ويجب التركيز على اعادة النظر بمناهج التعليم، بحيث تتلاءم مع ظروفنا وواقعنا. والتأكيد ان المدرسة ليست مبنى للدراسة فحسب، بل مركز للثقافة بكل ما يتطلبه ذلك فيما يختص بالمناهج والبناء والتجهيز واساليب التعليم.